المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى

منهج القرآن الكريم للحياة الانسانية كما تصوره سورة العصر المكية

إعداد
د/رفعه أحمد صالح الغامدي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.وبعد فإن هذا البحث يتناول تفسير سورة العصر وعنوانه:

(منهج القرآن للحياة الإنسانية كما تصوره سورة العصر المكية)

وسبب اختياري لهذا الموضوع هو مالفت نظري وشد انتباهي بعد قراءتي المتواصله لتفسير سوره العصر واطلاعي على أقوال العلماء فيها وخاصة قول الشافعي رحمه الله في سورة العصر (لو لم ينزل على الناس إلا هذه السورة لكفتهم) وبعد تأملي وتدبري لمعاني هذه السورة اتضح لي صدق مقوله الشافعي رحمه الله؛ لأن الله سبحانه قسّم الناس عامه في سورة العصر إلى طائفتين :

١- الطائفة الأولى هي الطائفة الخاسرة الذين ذكرهم الله بقوله تعالى﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ فالمراد بالإنسان الخاسر أي الكافر، فهؤلاء الكفار والعصاةاتبعوا خطوات الشيطان حتى استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله فأصبحوا من الخاسرين قال تعالى ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.[1]

٢- الطائفة الثانية الرابحة والمراد بهم قوله تعالى:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، فهؤلاء أطاعوا الله فأصبحوا من حزبه المفلحين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه قال تعالى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]، هذا ماوضحته سورة العصر لذا أحببت تفسيرها لأبين للناس أهميتها ليتعظوا ويعملوا بها

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة المجادلة (آية ١٩)

٢- سورة المجادلة (آية ٢٢)

خطة البحث

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى تمهيد وفصلين:

أولاً: التمهيد:

وذكرت فيه أن سورة العصر مكية عند الجمهور وهذا هو الراجح ثم بينت سبب تسميتها بالعصر، وبعد ذلك وضحت بيان فضل سورة العصر، وأخيرا ذكرت مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

ثم يأتي **الفصل الأول**: ذكر أهمية القسم بالعصر عند بيان صفات الطائفة الخاسرة مع ذكر نماذج من الآيات التي توضح ذلك، وفيه مبحث واحد اشتمل علي عدة مطالب:

المبحث الأول: تفسير قوله تعالى﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾

المطلب الأول:بيان العلة من القسم بالعصر.

المطلب الثاني: أقوال المفسرين في المراد بالعصر.

المطلب الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾

ثم يأتي **الفصل الثاني**: بيان صفات الطائفة الرابحة التي استثناها الله في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهمية اقتران الإيمان بالعمل الصالح وبيان أنواعه وأثره على حياة الفرد وسلوكه، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

المطلب الثالث: بيان ثمرة الإيمان، والعمل الصالح على حياة المسلم وسلوكه.

المبحث الثاني: أهمية التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحق.

المطلب الثاني: بيان أنواعه.

المطلب الثالث: تعريف الصبر.

المطلب الرابع: بيان أنواعه.

المطلب الخامس: بيان ثمرة التواصي بالحق والصبر على المجتمع الإسلامي.

وقد تنقلت في بحثي هذا بين عدة مناهج حسبما فرضه علي موضوع البحث، وقد اعتمدت على المنهج الإحصائي، والمنهج التحليلي، كما اعتمدت في بحثي هذا على العديد من المراجع أهمها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي، وبدائع التفسير لابن قيم الجوزية، وأضواء البيان للشيخ الشنقيطي، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله.

ثم ذيلت البحث بخاتمة تضم أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث، وقد قمت بإعداد فهارس في نهاية بحثي.

فما كان في هذا البحث من حق وصواب فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، لهذا أسأل الله بمنه وكرمه أن يتجاوز عني ويغفر لي، فالخطأ والنسيان من طبيعة البشر{ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا}، كما أرجو الله أن يتقبله قبولا حسناً، ويبارك لي فيه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

الباحثة

سورة العصر

١- سورة العصر مكية في قول ابن عباس حيث قال : نزلت سورة العصر بمكة.وقول الزبير والجمهور. وهذا هو الراجح لأنها تشبه السور المكية.

٢- ومدنية في قول مجاهد وقتادة ، وآيها ثلاث بلا خلاف، وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفاً[١]، ولم يذكرها السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" في عدد السور المختلف فيها.[٢]

سورة العصر نزلت بعد سورة الشرح وقبل سورة العاديات ،وترتيبها في المصحف بعد سورة التكاثر وقبل سورة الهمزة، وقد عدت الثانية عشرة في عداد نزول السور.

ذكر ذلك السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن في بيان أول ما نزل بمكة[٣]،

كما أن سورة العصر نزلت بعد فترة الوحي، وهي إحدى سور ثلاث هن أقصر السور من حيث عدد الايات وهي سور (النصر، العصر والكوثر).[٤]

لذا تعتبر سورة العصر من قصار المفصل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :" فضلت بالمفصل" يدل على ذلك حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفضلت بالمفصل"[٥].من الحديث السابق يتضح لنا أن القرآن الكريم أربعة أقسام:

١- القسم الأول : السبع الطوال أولها البقرة وآخرها براءة .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- انظر فتح القدير للشوكاني ٤١٩/٥- المكتبة الفيصلية بمكة

زاد المسير في علم العظيم والسبع المثاني ٢٢٥/٩

تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٥٠٩/٨

تفسير روح المعاني من تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٢٧/١٠، تفسير التحرير والتنوير لسماحه الشيخ محمد الطاهر ٥٢٧/٣٠.

٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٥/١-٤١.

٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٢/١، مكتبة البارق – الرياض.

٤- انظر : تفسير التحرير والتنوير ٥٢٧/٣٠.

٥- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٧/١-١٦٢.

٢- القسم الثاني: المئون، سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها .

٣- القسم الثالث : المثاني ،ماولي المئين ، لأنها أقل من مائة تليها في عدد الآيات سميت بذلك؛ لأنها تثني في القراءة وتكرر أكثر من الطوال والمئين.

٤- القسم الرابع : المفصل، ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضا، وهو من أول سورة (ق)، وقيل من أول سورة الحجرات ، وآخره سورة الناس بلا نزاع وأقسامه ثلاثة:

طواله – وأوساطه – وقصاره.

فطواله من سورة (ق) أو الحجرات إلى عم أو البروج.

وأوساطه من (عم أو البروج إلى الضحى) أو إلى (لم يكن) ، وقصاره من الضحى أو (لم يكن) إلى آخر القرآن.[١]

فسورة العصر على قصرها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره[٢]؛ حيث شملت جميع علوم القرآن[٣]، لذا روي عن الشافعي عليه رحمه الله أنه قال:" لو لم ينزل على الناس إلا هذه السورة لكفتهم ". قال ابن الجوزي في تفسيره[٤] :" المراد من قول الشافعي (لكفتهم) لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:

معرفة الحق – عمله به – يعلمه لمن لايحسنه- صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

سبب تسميتها بالعصر:

إن سورة العصر لها اسم واحد وهو العصر، لأن سور القرآن بعضها له اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر[٥]، وسميت السورة بالعصر ؛ لأن الله اقسم في فاتحتها بالعصر ، وقد ورد نظير هذا

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- الإتقان للسيوطي ١/٨٠.

٢- انظر: الضوء المنير على التفسير ٦/٤٤٩. الجزء الأخير.

٣- انظر :تفسير روح المعاني للألوسي ١٠/٢٢٧.

٤- زاد المسير في علم التفسير ٩/٢٢٥.

٥- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٥٠.

في القرآن في سورة طه[1]؛ حيث سميت بذلك لأن الله افتتحها بقوله تعالى﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾.[2]

بيان فضل سورة العصر:

قال بعض العلماء: أقسم سبحانه بوقت صلاة العصر لفضيلة صلاتها لهذا من تركها فقد حبط عمله، قال النبي ﷺ: " من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله"[3]".

لهذا خصت سورة العصر بالفضل؛ لأن التكليف في ادائها اشق لانشغال الناس في مكاسبهم ومعاشهم[4]، كما أخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب: " كان الصحابة إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر.[5]

قال الإمام ابن القيم في التعليق على ذلك: قد ظن الناس أن ذلك كان للتبرك، وهو خطأ. وإنما كان ليذكر كل واحد منهما صاحبه بما ورد فيها، خصوصا من التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، حتى يأخذ منه قبل التفرق وصية خير لو كانت عنده.[6]

ومن خير ما قرأت في التعليق على ذلك – في كتب التفسير الحديثة – ما ذكره سيد قطب في تفسيره لسورة العصر حيث قال: إن الهدف من قراءة أحدهما على الآخر سورة العصر; لأنهما يتعاهدان على هذا الدستور الإلهي والمراد به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

١- يتعاهدان على الإيمان والصلاح.

٢- يتعاهدان على التواصي بالحق.

٣- يتعاهدان على أنهما حارسان لهذا الدستور.

٤- يتعاهدان على أنهما من هذه الأمة القائمة على هذا الدستور[7].

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- وأيضا في سور عديدة منها سورة الشمس والليل والفجر والضحى.

٢- سورة طه (أية١: ٢).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب من ترك صلاة العصر ١/١٠٥.

٤- انظر تفسير الالوسي ١٠/٢٢٧.

٥- انظر تفسير ابن كثير ٤/٦١٥، فتح القدير للشوكاني ٥/٤٩١

٦- انظر تفسير القاسمي ٩/٥٣٨.

٧- في ظلال القرآن لسيد قطب ٦/٣٩٧١

وأقول ويؤيد ما سبق إخباره ﷺ حيث قال: (لا تزال هذه الأمة قائمة على الحق منصورة إلى يوم القيامة). [1]

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ٤/٢٦٣

مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها :

لما كانت سورة العصر قبلها سورة التكاثر، وبعدها سورة الهمزة، فإنه يحسن بي ذكر المناسبة بينهما.

في السورة السابقة ، وهي سورة التكاثر بين سبحانه انشغال الناس بالتفاخر بالأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، واستمر انشغالهم بها حتي ماتوا، وغفلوا عن الأعمال الصالحة، وسوف يندمون على ذلك ، ويظهر لهم أن الآخرة خير وأبقي من الدنيا الزائلة.

لذا أقسم سبحانه بأنهم سيشاهدون النار بعيونهم قال تعالى ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[1]، ويسألون يوم القيامة عن كل نعيم[2] قال تعالى﴿ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾[3]، وهل قاموا بشكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وهل استعملوها في طاعة الله أم استعانوا بها على معاصيه، ومما يؤكد ما سبق ما ذكره برهان الدين البقاعي.[4]

وسورة الهمزة جاءت في نفس المعني تقريبا في قوله تعالى﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾.[5]

قال الصاوي [6] في تفسيره لسورة الهمزة: أنه لما قال تعالى في سورة العصر ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ المراد عموم الخسارة ثم ذكر في سورة الهمزة حال بعض الخاسرين، ومآلهم يوم القيامة فقال تعالى :﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

❁❁❁❁❁❁❁

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- سورة التكاثر (آية ٦-٧).

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٨٨/٩-٨٩ ، تفسير السعدي ٩٣٤/٣٠.

٣- سورة التكاثر (آية :٨).

٤- كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٣٦/٢٢ ومن اراد الاستزاده فليرجع إليه.

٥- سورة الهمزة (آية :٢-٦).

٦- انظر تفسير الصاوي ٣٥١/٤.

الفصل الأول

أهمية القسم بالعصر عند بيان صفات الطائفة الخاسرة مع ذكر نماذج من الآيات التي توضح ذلك.

وفيه مبحث واحد اشتمل على عدة مطالب:

المبحث الأول:

تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾

المطلب الأول: **بيان العلة من القسم بالعصر.**

المطلب الثاني: **أقوال المفسرين في المراد بالعصر.**

المطلب الثالث: **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾.**

المبحث الأول

تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾

المطلب الأول

بيان العلة من القسم بالعصر

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾.[1]

افتتح سبحانه سورة العصر بالقسم به؛ لأنه آخر ساعات النهار وفي القسم به تنويه بشأنه، ففي هذه السورة أقسم سبحانه في حق الخاسر (بالعصر) وهنا توعده سبحانه بالخسارة . كما أقسم سبحانه في حق الرابح (بالضحى)، والمراد به رسول الله ﷺ؛ حيث بشره الله سبحانه أن أمره إلى إقبال.

قال ابن كثير في تفسيره للآية السابقة[2]: أقسم تعالى (بالعصر) على أن الإنسان (لفي خسر) أي: في خسارة وهلاك.

وقال القرطبي في تفسيره[3]: إنما أقسم سبحانه بالعصر لما فيه من التنبيه بتصريف الأحوال وتبدلها.

وقال العلامة ابن القيم الجوزيه[4]: أقسم سبحانه ب(العصر) وهو الدهر لوجود العبرة فيه آناء الليل والنهار، واختلاف الأحوال والأدوار فإن في ذلك دلالة بينه على قدرة الصانع عز وجل، وعلى توحيده وبالغ حكمته، وواسع علمه.

قال البغوي في تفسيره[5]: أقسم سبحانه بالعصر؛ لأنه فيه عبرة للناظر، فانظر إلى ما فيه من تعاقب الليل والنهار واختلافهما في الضوء والظلام، والحر والبرد، وانتشار الحيوان وسكونه[6]، لهذا كان الليل والنهار آيتان من آيات الله كما قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة العصر (آية: ١- ٢).

٢- انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١٥.

٣- انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧٨-١٧٩.

٤- انظر: التبيان في علوم القرآن لابن القيم الجوزية ١/١٧٦.

٥- انظر: تفسير البغوي ص١٤٣١.

٦- انظر: بدائع التفسير ٥٠/٣٢٨.

﴿ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1]، وقال الشيخ محمد بن عبد الله بن صالح بن عثيمين[2] في تفسيره لهذه السورة موضحاً سبب قسم الله بالعصر لما يقع فيه من اختلاف الأحوال، وتقلبات الأمور، ومداولة الأيام بين الناس، وغير ذلك مما هو مشاهد في الحاضر، ويتحدث عنه في الغائب.

فالعصر هو الزمان الذي يعيشه الخلق ، وتختلف أوقاته من سراء إلى ضراء، وصحة وسقم، وغنى وفقر، وراحة وتعب، وحزن وفرح، وشدة ورخاء، وحرباً وسلماً، وعملاً صالحاً وعملاً سيئاً إلى غير ذلك[3]، لهذا قال الألوسي في تفسيره أقسم عز وجل بالعصر لاشتماله على أصناف العجائب لذا قيل له أبو العجب، مما يدل على أن للكون خالقاً واحداً مدبراً وهو الله الذي ينبغي أن توجه له العبادة وحده دون سواه، كما يدعى لكشف الضر وجلب الخير، قال تعالى:﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[4]، فهو سبحانه النافع الضار وحده لا شريك له، وهذا ما يعتقده المسلم وهو بخلاف ما كان عليه المشركون من إضافة أحداث السوء إلى الدهر، فيقولون هذه نائبة من نوائب الدهر، وهذا زمان بلاء فأرشدهم سبحانه إلى أن الدهر خلق من خلقه، وأنه ظرف تقع فيه الحوادث خيرها وشرها.

لهذا نهى النبي عن سب الدهر فقال:" لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر"[5]، وذلك لأنهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل إلى الدهر، فأقسم سبحانه به تنبيهاً على شرفه، وأن الله هو المؤثر فيه بما يحصل من النوائب والنوازل؛ حيث كان من قضاء الله وقدره.

قال الألوسي[6] في تفسيره في بيان الحكمة من قسمه تعالى بالعصر: حيث يعرض عز وجل لما في الإقسام به من تعظيم لينفي أن يكون له خسران أو دخل فيه، كما يزعمه من يضيف الحوادث إليه.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة فصلت (آية: ٣٧).

٢- انظر تفسير الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ٣١١

٣- تفسير المراغي ٢٣٤/٣٠، تفسير محمد بن صالح بن عثيمين ص٣١١.

٤- سورة النمل (آية: ٦٢).

٥- مسند الإمام أحمد ٢٩٩/٥.

٦- انظر: تفسير الالوسي ٢٢٨/٣٠.

وممن ذهب إلى ذلك المراغي في تفسيره حيث قال المراغي في تفسيره[1]: فإن وقعت للمرء مصيبة فبما كسبت يداه وليس للدهر فيها من سبب قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾. [2]

لذا أقسم سبحانه به لينبهنا إلى أن الليل والنهار فرصة يضيعها المكلف، فالواجب على المسلم اغتنام وقته المحدد له في هذه الحياة، فيشغله في طاعة الله ومرضاته، فيذكره سبحانه ويشكره على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى. قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [3]، وكأنه تعالى يذكر بالقسم به ما فيه من النعم العظيمة وأضدادها لينبه الإنسان المستعد للخسران والسعادة إلى أن يبذل قصارى جهده في طاعة الله، وتقواه بعمل الصالحات ليسعد في دنياه وأخراه، ويجنب نفسه المعاصي لأنها طريق الخسران والغي والضلال.

لذا أضاف سبحانه الخسران بعد ذلك للإنسان إشعاراً بأنه صفة له لا للزمان[4]؛ حيث قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾.

❁❁❁❁❁❁

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- انظر: تفسير المراغي ٢٣٤/٣٠.

٢- سورة الشورى (آية: ٣٠).

٣- سورة الفرقان (آية: ٦٢).

٤- انظر: تفسير الألوسي ٢٢٨/٣٠.

المطلب الثاني

بيان أقوال المفسرين في المراد بالعصر

وبعد أن عرفنا العلة من القسم بالعصر ننتقل إلى بيان أقوال العلماء في المراد من العصر: قال الشيخ الشنقيطي في تفسيره[1]: "والعصر" العصر: هنا اسم للزمن كله، أو جزء منه.

لذا اختلف العلماء فيه إلى أقوال:

القول الأول: الدهر، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم وابن قتيبة.[2]

القول الثاني: الغداة والعشي؛ حيث يقال العصران، وقيل المراد: العشي: وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة، كما روي عن قتادة: أنه آخر ساعة من ساعات النهار[3].

لهذا جاء في تفسير الرازي أن هذا الوقت معظم[4] والدليل قوله ﷺ:" من حلف بعد العصر كاذباً لا يكلمه الله ولا ينظر إليه يوم القيامة".[5]

القول الثالث: قال مقاتل: إن المراد بقوله "والعصر" صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى التي أمر الله بالمحافظة عليها، قال تعالى:﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[6]

وقد ذهب الجمهور إلى المراد بالصلاة الوسطى صلاة العصر[7]، ولما في مصحف حفصة رضي الله عنها: الصلاة الوسطى صلاة (العصر)، قال القرطبي: وإنما أقسم سبحانه بصلاة العصر؛ لأنها أفضل الصلوات؛ حيث خصها سبحانه بالذكر في الآية السابقة.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- انظر: أضواء البيان ٩/٩١-٩٢.

٢- انظر: تفسير الطبري ٣٠/٢٨٩.

٣- انظر: فتح القدير للشوكاني ٥/٤٩١ - تفسير القرطبي ٢٠/١٧٩

٤- انظر: تفسير الرازي ٨/٤٧٦.

٥- أخرجه البخاري.

٦- سورة البقرة (آية: ٢٣٨).

٧- انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني ٥/٤٩١

القول الرابع: المراد بقوله تعالى:﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾: هو قسم بعصر النبي ﷺ لفضله لوجود النبي فيه[1]، وكأنه عني به وقت حياته عليه الصلاة والسلام، فإنه أشرف الأعصار لتشريف النبي ﷺ.

وقيل: هو زمان حياته وما بعده إلى يوم القيامة، ومقداره فيما مضى من الزمان مقداره وقت العصر من النهار[2]، ويدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بقول ﷺ:" إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس"[3]، وشرفه لكون زمان النبي ﷺ وأمته التي هي خير أمة أخرجت للناس فيه.[4]

القول الخامس: وقيل معناه: ورب العصر.

والراجح من الأقوال السابقة أن المراد ب(العصر) هو الدهر، وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين مثل الطبري، ابن كثير و وابن القيم لعموم القول حيث يدخل تحته الأقوال الأخرى، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن القيم[5] حيث قال: أقسم سبحانه بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان، ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها، وفيه نبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وأفعالهم على المعاد.

١- انظر: تفسير القرطبي ١٧٩/٢٠.كما أقسم سبحانه بمكانه في قوله تعالى: "لآ أقسم بهذا البلد " سورة البلد (ايه:١) ، وأقسم بعمره في قوله تعالى: لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون " سورة الحجر (آيه:٧٢).

٢- انظر: تفسير روح المعاني للألوسي ٢٢٨/١٠.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه.

٤- انظر: تفسير روح المعاني للألوسي ٢٢٨/١٠.

٥- انظر: التبيان في علوم القرآن ابن القيم ١٧٥/١.

المطلب الثالث

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾

بعد أن ذكرنا أقوال العلماء في المراد من العصر ننتقل لتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ قال الزجاج: هو جواب القسم[1]، لهذا أختلف المفسرون في بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

القول الأول: معنى: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ أي: في هلكة.

القول الثاني: قال الفراء[2]: في عقوبة أقسم سبحانه بالدهر إن الإنسان لفي خسر، أي لفي عقوبة بذنوبه، وأن يخسر أهله ومنزلته في الجنة.

القول الثالث: قوله تعالى ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ أي غبن.

القول الرابع: الخسر بمعنى النقص.

القول الخامس: وقيل الخسر بمعنى الشر.

وكل الأقوال متقاربة لا يوجد بينها تعارض، لأن النقص هو خساره وشر وهذه عقوبة ذنوبه تؤدي إلى هلاكه فيخسر نفسه وأهله ومنزلته في الجنة نسأل الله السلامة.

المعنى الإجمالي للآية:

قال ابن كثير[3]: أقسم سبحانه ب(العصر) على إن الإنسان لفي خسر، أي في خسارة وهلاك. وأقول المراد بذلك في الآخرة، يدلنا على ذلك ما ذكره ابن القيم[4] حيث قال: إقسامه سبحانه بالعصر دليل على حال الإنسان في الآخرة: أي حال الإنسان غير المؤمن في الآخرة والدليل قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال الطبري[5] في تفسيره: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان، وكان علي ﷺ يقرأ ذلك: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ وإنه فيه إلى آخر الدهر.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- انظر: زاد المسير في علم التفسير ٩/٢٢٥. فتح القدير للشوكاني ٥/٤٩١ . تفسير القرطبي ٢٠/١٧٩

٢- انظر: تفسير معاني القرآن للفراء ٣/٢٨٩.

٣- انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١٥.

٤- انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ١/١٧٥.

٥- تفسير الطبري ٣٠/٢٩٠.

قال القاسمي[1] في تفسيره:﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ أي: لخسارته رأس ماله في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي التي أفسدت نور الفطرة والهداية وهما أكبر رأس ماله، قال تعالى:﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىٌ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.[2]

فمن لا يهديه الله فإنه لا يوفقه للخير فيكون بهذا من الخاسرين لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن ذلك هو الخسران المبين[3]. قال ابن عطية في تفسيره[4]: الخسر: أي النقصان، وذلك بين غاية البيان في الكافر لأنه خسر الدنيا والآخرة، والنفس والأهل والولد فمن باع آخرته بدنياه فهو في غاية الخسران، وأما المؤمن وإن كان في خسر فالمراد خسر دنياه بسبب هرمه، وما يقاسيه من شقاء هذه الدار، فذلك معفو عنه من حيث فلاحه في الآخرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[5] : إن الله أخبر في سورة العصر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ومع غيره موصياً بالحق، موصياً بالصبر.

قال الشوكاني في تفسيره: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾أي: أن كل إنسان في المتاجر والمساعي وصرف الأعمار في أعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت.[6]

قال ابن عثيمين في تفسيره[7] لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾: أن الله أقسم قسماً على حال الإنسان أنه في خسر أي: خسران ونقصان في كل أحواله في الدنيا والآخرة إلا من استثنى الله عز وجل[8]، وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات[9] الأول: القسم في قوله تعالى﴿وَٱلْعَصْرِ ﴾. الثاني:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ وفي تعريف الإنسان للإستغراق بقرينة الاستثناء في قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ حيث استثنى سبحانه المؤمنين من الخسارة (الإنسان) (ال) هنا هي (أل) الجنسية الاستغراقية، والمراد استغراق جنس الإنسان، البالغ مبلغ التكليف فهو شامل للمسلم والكافر.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- انظر: تفسير القاسمي ٥٣٥/٩.

٢- سورة الأعراف (آية: ١٧٨).

٣- انظر: تفسير السعدي ٣٠٩/٩.

٤- انظر: تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٢٠/٥.

٥- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٨٥-٩٥.

٦- فتح القدير الشوكاني ٤٩١/٥.

٧- انظر: تفسير ابن عثيمين /٣١٢.

٨- أي في قوله تعالى (إلا الذين آمنوا)

٩- المراد بالجملة قوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفي خسر).

الثالث: (اللام) في قوله ﴿لَفِي﴾، وأتى بقوله ﴿خُسْرٍ﴾ ليكون أبلغ من قوله "لخاسر" فجاء بحرف الظرفية (في) ليشعر أن الإنسان منغمس بل مستغرق في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

ويجدر بي بيان معنى الإنسان في اللغة: والإنس والإنسان مشتقة من الإيناس وهو الرؤية والإحساس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [1]، فالإنسان سمي إنساناً لأنه يونس: أي بالعين يُرى، والإنسان هو من النوس وهو الحركة المتتابعة، فسمي الناس ناساً للحركة الظاهرة والباطنة.[2]

وبعد أن عرفنا معنى الإنسان في اللغة ننتقل إلى بيان المراد منه في القرآن:

ففي سورة العصر ذكر لنا سبحانه أن عاقبة الإنسان العاصي الخسارة، ولهذا نجد أن الخطاب للإنسان من حيث هو إنسان على طريقة القرآن يأتي في سياق الذم له من حيث هو إنسان عاصٍ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [3]،

وقال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [4]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [5]

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [6]

وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [7]

وقال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [8]

وأقول من خلال النظر والتأمل في الآيات السابقة، والإطلاع على ما جاء في تفسيرها يظهر لنا أن أكثر الآيات التي ورد فيها لفظ الإنسان جاءت في سياق الذم له؛ حيث وصفه سبحانه بالكفر

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- سورة القصص (آية: ٢٩).

٢- انظر: بدائع التفسير ٥/٤٦٠-٤٦١.

٣- انظر: سورة ابراهيم (آية:٣٤)

٤- انظر: سورة الأحزاب (آية:٧٢)

٥- انظر: سورة العاديات (آية:٦) .

٦- انظر: سورة الكهف (آية:٥٤) .

٧- انظر: سورة الإسراء (آية:١١) .

٨- انظر: النساء (آية:٢٨) . المراد بضعف الإنسان من جميع الوجوه ضعف البنيه وضعف الإرادة وضعف العزيمة.

بالله، والإشراك به، والظلم لنفسه ولغيره وكل هذا نتيجة الجهل بالله وبدينه وعاقبة أمره، وما هذا إلا لضعفه لذا قال تعالى ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾

الفصل الثاني

بيان صفات الطائفة الرابحة التي استثناها الله في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾

وفيه مبحثان

المبحث الأول

أهمية اقتران الإيمان بالعمل الصالح وبيان أنواعه وأثره على حياة الفرد وسلوكه.

المبحث الثاني

أهمية التواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

المبحث الأول

أهمية اقتران الإيمان بالعمل الصالح وبيان أنواعه وأثره على حياة الفرد وسلوكه، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

المطلب الثالث: بيان ثمرة الإيمان، والعمل الصالح على حياة المسلم وسلوكه.

المطلب الأول

تعريف الإيمان لغة واصطلاحا

ويجدر بي قبل تفسير الآية تعريف الإيمان في اللغة ثم في الاصطلاح

تعريف الإيمان:

في اللغة: هو التصديق[1] قال تعالى في سورة يوسف:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[2] قال ابن كثير[3] أي: مصدق، وقال تعالى:" قولوا آمنا بالله "[4] أي: صدقنا.

في الاصطلاح: قال ابن كثير في تفسيره[5]: الإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً. قال الجمهور: إن الإيمان اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح.[6]

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- معجم مختار الصحاح للرازي ص٢٤، ط١ القاهره دار الغد الجديد ١٤٢٨هـ .

٢- سورة يوسف: (آية: ١٧).

٣- انظر: تفسير ابن كثير ٥٧/١.

٤- سورة البقره (آية: ١٣٦).

٥- انظر: تفسير ابن كثير ٥٨/١، ط١ دار الفكر بيروت.

٦- تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٩٣/٩.

وسأذكر هنا تعريف الإيمان والدين عند أهل السنة والجماعة: فهو قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح وأنه يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. (الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية تأليف عبدالعزيز السلمان ص ٣١٩) والدليل على زيادة الإيمان قولة تعالى: " وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون" سورة التوبة (آيه:١٢٤) وقوله تعالى: " هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم" سورة الفتح (آية:٤). والدليل على نقص الإيمان قوله تعالى: " كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم ..." سورة المطففين (آية:١٤,١٥,١٦) قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابه سؤال وجواب من كان مؤمنا موحدا وهو مصر على المعاصي فهو مؤمن بما معه من الإيمان فاسق بما تركه من واجبات الإيمان ناقص الإيمان مستحق للوعد بإيمانه وللوعيد بمعاصيه (سؤال وجواب في أهم المهمات للشيخ السعدي ص ٨-٩)

المطلب الثاني: تفسير الآية

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾

المراد بالاستثناء في قوله تعالى﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هو إيمان العبد بربه، أي: معرفته به، وعبادته له.

فمعرفة الله حق المعرفة لا تكون إلا بمعرفة صفاته، وأسمائه الحسنى. قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: فاستثنى سبحانه من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم[1]، أي: صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، فهذا دليل على أن الإيمان تصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، فهؤلاء ليسوا في خسران.[2]

قال الشوكاني[3]: هم في ربح لا في خسر؛ حيث جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح، فعملوا للآخرة، ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها. فالاستثناء متصل، ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة، ولا وجه لما قيل من أن المراد به الصحابة أو بعضهم، فإن اللفظ عام لا يخرج عنه أحد ممن يتصف بالإيمان والعمل الصالح.[4]

ويؤيد ما سبق ما ذكره الشيخ أبو بكر الجزائري[5] حيث قال: فهؤلاء استثناهم الله تعالى من الخسر فهم رابحون غير خاسرين وذلك بدخولهم الجنة دار السعادة. قال السعدي في تفسيره: المراد من قوله﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم فهو فرع عنه لا يتم إلا به. قال الشيخ ابن عثيمين[6]: استثنى الله سبحانه هؤلاء المتصفين بهذه الصفات الآتية:

الصفة الأولى: الإيمان الذي لا يخالجه شك ولا تردد بما بينه الرسول ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان فقال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١٥.

٢- انظر: تفسير البغوي ص١٤٣٢.

٣- انظر: تفسير الشوكاني ٥/٤٩٢.

٤- انظر: فتح القدير للشوكاني ٥/٤٩٢.

٥- انظر: ايسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٥/٦١٣.

٦- انظر: تفسير ابن عثيمين ص٣١٢.

الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم. قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان".[1]

والمراد بقوله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الفرائض والسنن والنوافل، وهذا معنى خاص.[2]

قال الطبري: المراد من قوله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: أدوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه[3]، وقال الشيخ السعدي في تفسيره[4] قول أعم مما سبق: العمل الصالح هذا شامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنة التي شرعها سبحانه لعباده، وهذا هو الراجح. وبناء على ما سبق يظهر لنا أن الله سبحانه حكم بالخسارة على جميع الناس، إلا من كان أتيا بهذه الأشياء الأربعة وهي:١- الإيمان بالله.

١- العمل الصالح.

٢- التواصي بالحق.

٣- التواصي بالصبر.

فدل ذلك على تعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور الأربعة، فكما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه من الإيمان، والعمل الصالح فكذلك يلزمه في غيره أمور منها: الدعوة الى الدين، والنصيحة للمسلمين والصبر على ذلك .[5]

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- انظر: صحيح البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ١/١٨-١٩.
إن اسم الإيمان قد يأتي مفرد وغالباً مقروناً بالعمل الصالح أو بالإسلام وقد جاء الإيمان مقروناً بالعمل الصالح في القرآن في أكثر من خمسين موضعاً ومعناه إذا أتى مفرداً مخالفاً لمعناه مقروناً بالعمل الصالح وغيره. قال شيخ الإسلام بن تيمة في توضيح ذلك وتأكيده. أولاً إذ قرن اسم الإيمان بالإسلام أو العمل كان دالاً على الباطن فقط. (انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٥٧٥) والدليل قوله تعالى: " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم...." ثانياً وإن أفرد اسم الإيمان يتناول الباطن والظاهر كقوله تعالى: "إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون". سورة الأنفال (آية: ٣) وقوله تعالى: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" سورة آل عمران (أية: ٨٥).

٢- انظر: تفسير ابو بكر الجزائري ٥/٦١٣.

٣- انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣٠/٢٩٠.

٤- تفسير السعدي ص ٩٣٤

٥- انظر: تحفة الرسائل، مختارات من كلام العلامة ابن القيم الجوزيه، الموضوع/ أهمية الدعوة إلى الله للشيخ عبد الله بن حميد-رحمه الله .

المطلب الثالث

بيان ثمرة الإيمان والعمل على حياة المسلم وسلوكه

جاء الإسلام ليضع للإنسان منهج الحياة الذي يسير عليه، ويحدد بموجبه سلوكه، وعلاقته مع ربه ومع الآخرين؛ بحيث تستوعب عبادة ربه حياته كلها، وتنظم أموره من آداب وأخلاق إلى قضاء الحاجة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [1]، فيعبد الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. [2]

والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة، وبناء عليه فالإسلام يدعو إلى الأعمال الصالحة، والنافعة الظاهرة والباطنة، سواء فيما بينه وبين الله بأداء حقوق الله أي: عبادته وحده، ثم أداء حقوق عباده أي: يحسن معاملتهم في جميع نواحي الحياة، فمنهج القرآن هو تربية المسلم لتكون شخصيته متوازنة تتمتع بالصفات الطيبة، فيعطي كل صاحب حق حقه، لهذا كانت التربية الإسلامية وفق منهج القرآن والسنة من الأساليب النموذجية التي يتخذها المربي لتغيير سلوك الفرد، ثم المجتمع إلى الأفضل والأحسن، وهذا يساعد على صياغة شخصية المسلم وفق مبادئ الإسلام وآدابه.

فكل عبادة شرعها الله لعباده فيها خير ونفع ديني ودنيوي من ذلك: إقامة الصلاة والمحافظة عليها، فإن من ثمرات الصلاة القضاء على الفحشاء والمنكر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾. [3]

فمن لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا؛ لأن الصلاة تزكي النفوس وتطهرها، وتقربها من الله، كما يحفظه الله من المعاصي. وأيضاً سائر العبادات ومنها: الزكاة قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [4]، فالزكاة تطهر النفس الإنسانية من الشح والأنانية، وتدفع بصاحبها إلى البر والرأفة والرحمة بإخوانه المسلمين، وكذلك الصوم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة الأنعام (آية: ١٦٢- ١٦٣).

٢- سورة الذاريات (آية: ٥٦).

٣- سورة العنكبوت (آية: ٤٥).

٤- سورة التوبة (آية: ٣٠٣).

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1]، فأداء الصيام المشروع، والزكاة المفروضة وإقامة الصلاة على الوجه الشرعي كل هذه العبادات سبب لنيل التقوى التي هي أساس النجاح والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولكي يستمر النفع بثمار هذه العبادات لابد من الاستقامة عليها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ سورة فصلت الآية: ٣٠

ففي هذه الآية يبشر الله عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ويستقيموا عليها بأن لا خوف عليهم من أي مكروه في حياتهم الدنيا، ولا يحزنون على شيء تركوه خلفهم قال تعالى في حقهم: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [2]، فلهم الأمن التام يصحبهم في الدنيا حتى يصلوا إلى الجنة دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، وهذه هي ثمرة من ثمار الإيمان العظيمة، فمن آمن بالله، وعمل صالحاً فثوابه الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .[3]

قال ابن كثير: هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل الموافق لكتاب الله، وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل جميع وجوه الراحة من أي جهة كانت روي عن ابن عباس المراد بالحياة الطيبة:

١- الرزق الحلال.

٢- قيل السعادة، وقيل العمل بالطاعة.

٣- قيل القناعة.

٤- قال مجاهد وقتادة: لا يطيب لأحد إلا في الجنة. [4]

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة البقرة (آية: ١٨٣).

٢- سورة المائدة (آية: ٦٩).

٣- سورة النحل (آية: ٩٧).

٤- انظر: تفسير ابن كثير ٢/٦٤٦.

والراجح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:" قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه"[1]. رواه مسلم

وروي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطي بها في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً".[2] انفرد بإخراجه مسلم

مما سبق يظهر لنا أن الإيمان بالله، وطاعته، والعمل الصالح سبب في حصول كل ما ينتفع به المؤمن في هذه الحياة من الخير والرزق والتيسير، وصلاح الحال، والتوفيق في جميع أموره حتى يعيش حياة سعيدة منشرح الصدر، مطمئن البال هذا كله من ثمار الأعمال الصالحة قال تعالى:﴿ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.[3]

فالواجب على المسلم أن يتقي الله في نفسه وأهل بيته، ويعلمهم شرع الله، فهم أمانة عنده، وهو المسئول عنهم لقوله ﷺ:" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راعٍ في بيته ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته".[4] متفق عليه

فكل مسلم مسئول أمام الله عما تحت يده؛ لأنهم أمانة في عنقه يُسأل عنها يوم القيام، فالأمانة بمعناها المنهج السلوكي هي: النهوض بالرعاية، والحفظ لكل ما في عهدة الإنسان من شيء حسي أو معنوي.

فالأب مسئول عن أولاده وزوجته أمام الله يوم القيامة، فيربيهم على الإسلام، ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم، ليقيهم النار التي وقودها الناس والحجارة قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.[5]

قال الشوكاني في تفسيره[6]: معنى قوله تعالى ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾ أي بفعل ما أمركم به، وترك

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٢/٣.

٢- أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٥/٨.

٣- سورة الأعراف (آية: ٣٥).

٤- انظر: رياض الصالحين ص١٣٢.

٥- سورة التحريم (آية: ٦).

٦- فتح القدير للشوكاني ٢٥٣/٥.

ما نهاكم عنه، أي بطاعة الله، واجتناب معاصيه. قال مجاهد: أي قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم، أي أدبوا أولادكم بآداب الإسلام لتبعدوهم عن النار، قال ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الآداب، فكل مسلم مسئول أمام الله عن نفسه، وأهل بيته قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.[1]

فمن أراد السعادة فليتبع شرع الله، ويقتدي برسوله محمد ﷺ؛ لأنه قدوة المسلمين لما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وحسن خاتمتهم في الآخرة قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [2]، فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليقتدي برسولنا في عامة أحواله، فالأنبياء هم قدوتنا في الخلق الإنساني الرفيع، ويجدر بالمصلحين، والعلماء، والآباء والأمهات أن يكونوا قدوة لمرؤوسيهم في الاستقامة على شرع الله، وحسن الخلق لكي يتأسوا بهم، وينهجوا سبيلهم، لهذا لما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله قالت:" كان خُلقه القرآن" أي: يأتمر بأوامره، وينزجر عن نواهيه، فكان يطبق آياته في جميع شؤون حياته، وقد مدحه الله بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [3]، لذا اقتدى به ﷺ الصحابة ﷺ، فكانوا قرآناً يمشي على الأرض.

فحسن الخلق إذن مطلب شرعي دعا إليه الإسلام لإسعاد بني الإنسان، وللحفاظ على كرامتهم، ولقد جعل القرآن الكريم حسن الخلق من أهداف استخلاف الإنسان في الأرض قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [4]، ولقد سار الصحابة على ذلك، وأوصوا بها قادتهم حتى في محاربة الأعداء. [5]

فهؤلاء الذين رزقهم الله القوة والتمكين في الأرض عليهم إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر أحكام الإسلام، فمتى طبق الإسلام بأركانه وأحكامه فإنه يسود المجتمع الخير والصلاح، ويلتزم أهله بالأخلاق الإسلامية التي شرعها الله.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة طه (آية: ١٣٢).

٢- سورة الأحزاب (آية: ٢١).

٣- سورة القلم (آية: ٤).

٤- سورة الحج (آية: ٤١).

٥- انظر: أخلاق المسلم محمد سعيد مبيض ص١٥-١٧.

فليحرص المسلم على إتباع أوامر الدين وتطبيقها في جميع شؤون حياته، فمن حفظ الله بإتباع أوامره، واجتناب نواهيه حفظه الله في نفسه، وعياله، وماله، وكل ما يريد، قال ﷺ:" احفظ الله يحفظك".

فمنهج القرآن هو تربية المسلم على الفضيلة يبتغي من ذلك رضى الله، وحسن مثوبته قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.[1]

فالمسلم لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه قال صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" [2].

فالمسلم أخو المسلم يحب الخير للناس كل الناس، ويكره الشر لهم؛ لأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم قال ﷺ:" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة".[3] متفق عليه

فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، وهذا كله من ثمار الإيمان، والعمل الصالح؛ لأن المؤمنين أخوة قال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[4]

فالأخوة الإيمانية تدعو إلى التآخي، والتحاب والتعاون، والتصالح، وإزالة الخصومة والعدوان، ونشر العدل، والقضاء على الظلم لينالوا الهداية والأمن قال تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.[5]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- سورة الكهف (آية: ١١٠).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ١٨/٨، انظر: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام الحافظ المحدث أبي ذكريا النووي ص١١١.

٤- سورة الحجرات (آية: ١٠).

٥- سورة الأنعام (آية: ٨٢).

فمتى امتلأ القلب بالإيمان ساد الأمن والسلام، وامن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم قال ﷺ:" المسلم من سلم الناس من لسانه ويده"[1]، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، وصدق الرسول ﷺ حين قال:" ..... إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".[2]

فقلب المؤمن إذا امتلأ بالإيمان والتقوى زال منه البغض، والحقد، والغل، والحسد، وينعكس أثر ذلك على الجوارح، وسلوك الإنسان فيستقيم العبد، وتصلح أعماله وأحواله، ويؤمن جانبه، ويسعى جهده في منفعة إخوانه المسلمين، ويتعاون معهم، ويقضي حوائجهم ومصالحهم، فيحفظ يديه ورجليه من الحرام، ويوجهها إلى عمل الصالحات، كالقيام، وقراءة القرآن، وتعليم الناس، ويكف أذاه عنهم، فمتى تعاون المسلم مع أخيه المسلم، وتراحموا، وتناصروا، فهذا لا شك يؤدي إلى تقوية المسلمين، وإعزاز مكانتهم، ورفع مستواهم بين البشر؛ لأن الله مع المؤمنين والمتقين بنصره وعونه وتأييده قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3]، فهو معهم؛ لأنه يحبهم قال تعالى: (فإن الله يحب المتقين) ، فمن أحبه الله كان معه في كل حين ولهذا يعزه ويكرمه قال تعالى في محكم كتابه:﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[4]

❁❁❁❁❁❁

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/٤٨.

٢- شرح رياض الصالحين تأليف النووي صـ ٢٤٠

٣- سورة البقرة (آية: ١٩٤).

٤- سورة المنافقون (آية: ٨).

المبحث الثاني

أهمية التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحق.

المطلب الثاني: بيان أنواع الحق.

المطلب الثالث: تعريف الصبر.

المطلب الرابع: بيان أنواع الصبر.

المطلب الخامس: بيان ثمرة التواصي بالحق والصبر على المجتمع الإسلامي.

المطلب الأول

تعـريـف الحـق

ويجدر بي قبل تفسير الآية تعريف الحق في اللغة ثم في الاصطلاح.

قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾

تعريف الحق في اللغة: ويقال حق الأمر يحِقُ: أظهره وأثبته للناس، وقيل الحق: الصواب وضده الباطل[1].

وفي الاصطلاح: أهل المعاني: هو الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل، وأما الصدق قد شاع في الأقوال خاصة[2].

بناءً على ما سبق يظهر لنا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق والصدق فالقران حق ودين الإسلام حق، ومن أسمائه تعالى الحق قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾.[4]

فالقران حق وكل ما جاء به حق لهذا كان ﷺ يدعو بهذا الدعاء الذي رواه البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال:" اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- معجم مختار الصحاح ص ٨٧

٢- المفردات في غريب القران ص ١٣٢-١٣٣.

٣- سورة يونس (آية: ٣٢).

٤- سورة المؤمنون (آية: ١١٦).

وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله إلا أنت ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".[1]

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التهجد باب التهجد بالليل جزء ١/٣٧٧.

وبعد أن عرفنا معنى الحق في اللغة والاصطلاح ننتقل إلى تفسير الآية.

تفسير قوله تعالى:﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾

يعتبر التواصي بالحق من الخاص بعد العام؛ لأنه داخل في عمل الصالحات، قال الشيخ السعدي: التواصي بالحق الذي هو الإيمان والعمل الصالح أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه[1]. قال ابن جرير الطبري في تفسيره: أي أوصى بعضهم بعضاً بما أنزل الله في كتابه من أمره، واجتناب ما نهى عنه من معاصيه.[2]

قيل الحق كل ما كان ضد الباطل، فيشمل عمل الطاعات، وترك المعاصي.

قال ابن كثير: هو أداء الطاعات، وترك المحرمات[3]. قال الشوكاني في تفسير معنى قوله تعالى:

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: وصى بعضهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به، وهو الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه.

وقال قتادة: بالحق: أي بالقرآن. وقيل: بالتوحيد[4]. والراجح العموم فالمراد بالحق القرآن الكريم كما قال تعالى:﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾.[5]

فآيات القرآن حق وتدعو إلى الحق، وهو الإيمان بالله وتوحيده، أي: القيام بما شرعه الله من إتباع الأوامر، واجتناب النواهي، ويؤكد ذلك ما جاء في أضواء البيان للشيخ الشنقيطي[6] -رحمه الله- حيث قال: الحق: هو القرآن لشموله كل أمر وكل نهي، وكل خير، ويشهد لذلك قوله تعالى في حق القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[7]، قال ابن كثير[8]: فاعبد الله وحده لا شريك له وادعوا الخلق إليه وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- انظر: تفسير السعدي ص٩٣٤.

٢- انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣٠/٢٩٠.

٣- انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١٥.

٤- انظر: فتح القدير للشوكاني ٥/٤٩٢.

٥- سورة الإسراء (آية: ١٠٥).

٦- تفسير الشنقيطي.

٧- سورة الزمر (آية: ٢).

٨- تفسير ابن كثير ٤/٤٩.

وبهذا يظهر لنا أن الوحي بالحق يشمل الشريعة كلها أصولها وفروعها، ماضيها وحاضرها من ذلك ما وصى الله به الأنبياء عموماً من نوح عليه السلام، وإبراهيم ومن بعدهم إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾.[1]

١- سورة الشورى (آية: ١٣).

المطلب الثاني

أنواع الحق

إن الحقوق ثلاثة: ١- حقوق الله. ٢- حقوق النفس. ٣- حقوق عباد الله.

ويؤكد ذلك ما قاله الشيخ محمد الراوي[١] أن الإنسان له ثلاث علاقات:

١- علاقة مع ربه.

٢- علاقة مع نفسه.

٣- علاقة مع غيره.

وكل هذه العلاقات فيها بيان من الله كما قال تعالى:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[٢]

مما سبق يتضح لنا أن للحق ثلاثة أنواع، ويؤكد ذلك ما رواه البخاري في حديث له:" فقال سلمان إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍّ حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: صدق سلمان"[٣].

فنستنتج مما سبق أن الحقوق ثلاثة حق بين العبد وربه، وحق لنفسه، وحق لأهله.

النوع الأول: حق الله ودليل ذلك قوله :" إن لربك عليك حقاً"، فحق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً قال تعالى:﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.[٤]

وقال الشيخ السعدي في تفسيره: يأمر الله تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له[٥]، كما جاء في الحديث الشريف المتفقِ عليه عن معاذ بن جبل قال:"كنت رديف النبي على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- تفسير كلمة الحق في قران االكريم ٢/٦٧٧ – للشيخ محمد الراوي

٢- سورة النحل (آية: ٨٩).

٣- أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب صنع الطعام والتكلف للضيف رقم الحديث ٥٧٨٨ .

٤- سورة النساء (آية: ٣٦).

٥- انظر: تفسير السعدي ص١٧٨.

العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت يار سول الله" أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا"[1].

النوع الثاني: حق النفس: يعطي نفسه وبدنه حقهما من الطعام والشراب، والراحة النفسية فقال الله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[2] قال ابن كثير المراد أي طيبي نفساً.

فالجسد له حق، والروح لها حق، فيعطي كلا حقه باتزان واعتدال حتى تستقيم الحياة، ويؤدي كل ما خلق له فلا تكرم روح على حساب جسد، ولا ينعم جسد على حساب روح، ولا تطلب آخره بترك دنيا، ولا تؤخذ دنيا على حساب آخره، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.[3]

النوع الثالث: المراد بقوله:" ولأهلك عليك حقاً" أي: أسرته من زوجة وأولاد، وقبل ذلك والديه، وقد بين سبحانه في سورة النساء أصحاب هذا النوع فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.[4]

بينت الآية السابقة بعض من لهم حقٌ علينا، وأولهم الوالدان، فيجب برهما والإحسان إليهما بالقول الجميل، والفعل الكريم، وطاعة أمرهما، واجتناب نهيهما، والإنفاق عليهما[5]، وقوله تعالى ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ يدخل الإخوة والأخوات، أي: الإحسان إليهم بالقول، والمواساة بالزيارة والمال في المناسبات، وسائر الأوقات ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أي: الذين فقدوا آباءهم وهم صغار لهذا امرنا سبحانه بالإحسان إليهم فلهم حقٌ على المسلمين سواءً كانوا أقارب وغير هم بكفالتهم وبرهم وتربيتهم أحسن تربيه في مصالح دينهم ودنياهم، وال ﴿وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ...﴾ كل هولاء أمر الإسلام

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب حديث أتدري ما حق الله على العباد الجزء ٣/١ رقم الحديث ٧٣٧٣.

٣- سورة مريم (آية: ٢٦).

٤- سورة القصص (آية: ٧٧).

٥- سورة النساء (آية: ٣٦).

٦-انظر تفسير ابن كثير ٥٥٩/١

بالإحسان إليهم بالقول والفعل، وعدم إيذائهم، ومساعدتهم في أمور دينهم ودنياهم والنصح لهم، والوفاء معهم في اليسر والعسر، وأن نحب لهم ما نحبه لأنفسنا، ونكره لهم ما نكره لأنفسنا.[1]

١- انظر: تفسير السعدي ٥/١٧٨.

المطلب الثالث

تعريف الصبر

وقبل بيان معنى الآية وتفسيرها يجدر بي بيان معنى الصبر في اللغة والاصطلاح.

تعريف الصبر:

معنى الصبر في اللغة: صبر النفس عن الجزع.[1]

الاصطلاح: صبر النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً، ويضاده الجزع.[2]

وسمي الصوم صبر لكونه كالفرع له، وقال ﷺ:" صيام شهر الصبر". وحكى ابن الانباري عن بعض أهل العلم أنه قال: سمي صبر النفوس صبراً؛ لأن تمرره في القلب، وإزعاجه للنفس كتمرر الصبر في الفم.[3]

تفسير الآية:

قال الطبري في تفسيره[4] لقوله تعالى﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على العمل بطاعته. قال القاسمي[5] في تفسيره لقوله تعالى﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: على ما يبلوا الله به عباده أو على الحق.

فإن التواصي بالحق سهل وما البقاء عليه، والصبر معه لا يكون إلا بالاستقامة والجهاد لأجله فذلك الذي يظهر به مصداق الآية، وقال ابن كثير: معنى قوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ :على المصائب، والأقدار، وأذى من يؤذي من يأمرونه بالمعروف، وينهونه عن المنكر[6]. قال الشوكاني[7] في تفسيره﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ : أي الصبر على فرائضه.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- المصباح المنير باب الصاد ص٣٥٤.

٢- انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٧٤.

٣- انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه النظائر لمحي الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم، ، مؤسسة الرسالة ص٣٨٧.

٤- انظر: تفسير الطبري ٣٠/٢٩٠.

٥- انظر: تفسير القاسمي ٩/٥٣٥

٦- انظر: تفسير ابن كثير ٤/٦١٥.

٧- انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني ٥/٤٩٢

والصبر على الطاعة، والصبر عن معاصي الله سبحانه وتعالى، وفي جعل التواصي بالصبر قريناً للتواصي بالحق دليل على عظم قدره، وفخامة شرفه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحقق الصبر عليه قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [1].

كما أن التواصي بالصبر في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ مما يندرج تحت التواصي بالحق فإفراده بالذكر، وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق، ومزيد شرفه[2] كما بين تعالى أن من يتصف بالصبر أنه من أصحاب الحظوظ العظيمة من السعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [3]، قال ابن عباس[4]: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. وهذه هي من صفات المتقين قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾. [5]

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة المؤمنون (آية: ١١١).

٢- تفسير الشوكاني ٥/٤٩٢

٣- سورة فصلت (آية: ٣٥).

٤- انظر ابن كثير في تفسيره ٤/١١٠

٥- سورة آل عمران (آية: ١٦- ١٧).

الأدلة على مشروعية الصبر

ذكر الله الصبر في القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضعاً أمر عباده به، ومرغباً فيه، ومبيناً لثوابه العظيم، وخيره الكثير في الدنيا والآخرة؛ لأنه طريق الفلاح. وسأورد الأدلة على ذلك:

أولاً: الأدلة من القرآن في بيان مكانة، وفضل الصبر، لهذا أمر الله سبحانه به فقال:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.[2]

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾.[3]

ثانياً: الأدلة من السنة في الحث على الصبر وبيان ثوابه:

قال ﷺ:" من يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر".[4]

قال ﷺ:" إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط".[5] رواه الترمذي

وقال ﷺ:"حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات".

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة آل عمران (آية: ٢٠٠).

٢- سورة الحج (آية: ٣٤- ٣٥).

٣- سورة الفرقان (آية: ٧٥).

٤- انظر: رياض الصالحين ص٣١ باب في الصبر.

٥- انظر: رياض الصالحين ص٣٩.

المطلب الرابع

أنواع الصبر

مما سبق يظهر لنا أهمية الصبر، ومكانته في الإسلام، وقد قسمه العلماء إلى أنواع ثلاثة:

١- الصبر على طاعة الله.

٢- الصبر عن المعصية.

٣- الصبر على أقدار الله.

وهناك تقسيم آخر جاء في تفسير الضوء المنير: أن الصبر نوعان:

١- الصبر على المقدور كالمصائب.

٢- الصبر على المشروع، وهذا النوع نوعان أيضاً:

أ- صبر على الأمر.

ب- صبر عن النواهي.[١]

فأما النوع الأول من الصبر فمشترك بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، ولا يثاب عليه لمجرده إن لم يقترن به الإيمان[٢] قال ﷺ في حق ابنته:" مرها فلتصبر ولتحتسب"[٣]، لهذا كان الصبر من أهم صفات الأنبياء والأولياء قال تعالى:﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾.[٤]

وقال تعالى مخاطباً لرسوله محمد وآمراً له :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[٥]، وبما أن الصبر أنواع ثلاثة فإنه يحسن بي توضيحها.

أولاً: الصبر على المقدور:

أي: الصبر على ما يصيب المسلم من أنواع البلاء التي ذكرها سبحانه في قوله تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- انظر: الضوء المنير على التفسير٦/٤٥٤.

٢- تفسير السعدي ص٩٣٤.

٣- رواه البخاري في كتاب الجنائز عن أسامة بن زيد.

٤- سورة الأنبياء (آية: ٨٥).

٥- سورة الأحقاف (آية: ٣٥).

قال الشيخ السعدي في الآية السابقة: أخبرنا تعالى أنه يبتلي عباده بالمحن ليتبين الصابر من الجازع، فيبتليهم بشيء من الخوف والجوع شيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو بالجوع كله لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك. إن هذا الابتلاء سنة الله التي قد خلت ولن تجد لسنة الله تبديلا.[1]

وقد وعد سبحانه الصابرين بالجنة قال ﷺ:" إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة".[2]

فكل ما يصيب المسلم مما قدره الله عليه إن صبر عليه واحتسب، سواءً في نفسه بالمرض أو الهمّ والحزن، أو ماله بالنقص أو الإفلاس، أو ولده بالمرض أو الموت، أو زوجه أو أي محبوب لديه أو مرغوب إن قابل ذلك بالصبر والتسليم، والرضى بقدر الله، وعدم السخط والجزع، ويكون صبره ابتغاء وجه الله كما قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[3]، ممتثلاً أمره تعالى بالصبر حيث قال عز وجل:﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾. [4]

وقوله تعالى:﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾[5] أي: لما حكم به شرعاً وقدراً، فالحكم القدري يصبر على المؤذي منه، والحكم الشرعي يقابل بالقبول، والانقياد التام لأمره.[6]

وعليه طلب العون منه سبحانه في أن يمده بالصبر قال تعالى:﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾[7]، ويستعين على ذلك باللجوء إلى الله بالصلاة، وطلب العون على الصبر قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾.[8]

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- تفسير السعدي ص٨٨١.

٢- انظر: رياض الصالحين ص٣٥ ، وانظر: سنن النسائي كتاب الجنائز باب ثواب من صبر واحتسب ٤/٢٣

٣- سورة الرعد (آية: ٢٢).

٤- سورة لقمان (آية: ١٧).

٥- سورة القلم (آية: ٤٨).

٦- تفسير السعدي ص٨٨١.

٧- سورة البقرة (آية: ٢٥٠).

٨- سورة البقرة (آية: ١٥٣).

وقد وعدهم سبحانه بالخير جزاء لصبرهم فقال تعالى:﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[1]، قال ﷺ:" عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إذا أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".[2]

ففي الصبر تكفير للخطايا كما قال ﷺ:" ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه"[3]

ففي صبره هذا اقتداء بالأنبياء الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون، ومنهم نبي الله أيوب عليه السلام الذي ابتلى في جسده وأهله وماله فصبر، ولم يجزع حتى استحق ثناء الله عليه قال تعالى:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ إلى أن قال تعالى﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.[4]

قال ابن كثير: يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب عليه السلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده فصبر[5]، يقول الله في حديث قدسي:" ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة".[6] رواه البخاري

فمن أراد كسب الأجر والثواب على كل ما يبتليه الله به فعليه بالصبر الجميل الذي أمر به رسولنا الكريم، والأمر له أمر لأمته قال تعالى:﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[7]. قال ابن القيم في الوابل الصيب: إن الله لم يبتليه ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، لهذا قسّم الصبر على ثلاثة أركان:

١- حبس النفس عن التسخط، والجزع بالمقدور.

٢- حبس اللسان عن الشكوى.

٣- حبس الجوارح عن المعصية، كاللطم، وشق الجيوب.

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة النحل (آية: ١٢٦).

٢- رواه مسلم .

٣- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن ١٦/٨

٤- سورة ص (آية: ٤١- ٤٤).

٥- انظر: تفسير ابن كثير ٤٣/٤.

٦- انظر: رياض الصالحين ص٣٥.

٧- سورة المعارج (آية: ٥).

لهذا أمر الله رسوله محمداً ﷺ بالصبر على ما يقوله كفار مكة [1] قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا ﴾ [2]، قال ابن كثير معنى ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: من تكذيبهم لك [3]

ودليله قوله تعالى: (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) [4].

فالواجب على الدعاة في عصرنا هذا الصبر على الأذى في سبيل الدعوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [5]، وعليهم التسلح بالعلم الشرعي من الكتاب والسنة، مع العمل بالشريعة وفقه الواقع قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [6]، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ .[7]

معنى على بصيرة: أي ادعو الى الله مع علمي بالحق الذي أدعو إليه، والعمل به، وإخلاص الدين لله كما قال ﷺ:" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان".[8]

ثانياً: الصبر على الطاعات:

أي: الصبر على أوامر الله بإتباعها والقيام بها على أكمل وجه قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [9]، أمر بعبادته وحده والاصطبار عليها أي صبر نفسك عليها وجاهدها وقم عليها أتم القيام وأكملها حسب قدرتك[10] فعلى المسلم الصبر على

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- فتارة يقولون ساحر وتارة شاعر ومجنون.

٢- سورة طه (آية: ١٣٠).

٣- انظر: تفسير ابن كثير ١٨٩/٤.

٤- سورة الفرقان (آية:٤).

٥- سورة آل عمران (آية: ١٠٤).

٦- سورة النحل (آية: ١٢٥).

٧- سورة يوسف (آية: ١٠٨).

٨- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ٥٠/١

٩- سورة مريم (آية: ٦٥).

١٠- انظر: تفسير السعدي ٤٩٨/١٦.

الطاعات والتكاليف التي شرعها الله ويجاهد نفسه لينال هداية الله له ويفوز بمعيته قال تعالى: " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"[1]. قال ابن كثير[2] في تفسيره المراد بذلك الرسول وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، فالذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون ويبصرهم لطرق الخير في الدنيا والآخرة.

أي: طريق الحق وهو القرآن والسنة، فأهم شرائع الدين وعماده الصلاة التي أمرنا الله بالصبر على أدآئها وكذلك أمر الأهل بإقامتها قال تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [3] قال ابن كثير: أي استنقذهم من عذاب الله بإقامة الصلاة، واصبر أنت على فعلها.[4]

قال الشيخ السعدي في تفسيره: أي: حث اهلك على الصلاة فرضاً ونفلاً، وعلمهم كيفية الصلاة، وما يصلحها وما يفسدها.[5]

ثالثاً: الصبر عن المعاصي:

يجب على المؤمن خشية الله، والخوف منه، ولا يتبع نفسه هواه، ويبعدها عن الشهوات والمعاصي، وليحذر المغريات التي تؤدي إلى المعاصي، ويقاوم الشهوات قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَٰمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ الْمَـَٔابِ ﴾.[6]

بين سبحانه في هذه الآية أنواع المشتهيات بالطبع البشري من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وفي ذلك ابتلاء وامتحان، ثم بين سبحانه أنها متاع الحياة الدنيا لا غير. قال ابن كثير يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين ... إلى أن قال: (ذلك متاع الحياة الدنيا) أي إنما هذه زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية ... ثم ختم الآية فقال: (والله عنده حسن المئاب) أي حسن المرجع[7]. فالواجب على المسلم عدم الاغترار بها ، والانشغال عن طاعة الله،

❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀❀

١- سورة العنكبوت (آية: ٦٩).

٢- تفسير ابن كثير ٣/٥٥٩.

٣- سورة طه (آية: ١٣٢).

٤- انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٣٠.

٥- انظر: تفسير السعدي ١٧/٥١٧.

٦- سورة آل عمران (آية: ١٤).

٧- تفسير ابن كثير ١ /٣٩٨- ٣٩٩

وليأخذ منها ما يبلغه إلى الدار الآخرة وهو الإيمان، والعمل الصالح، وليحذر سائر الذنوب، وليرغب في النعيم الباقي كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾.[1]

يخبر تعالى عباده بما هو أفضل لهم، وخير عاقبة في الدنيا والآخرة هو التقوى أي: خوف الله، وترك الشرك والمعاصي، وإتباع شرعه سبحانه، فمن امن بالله وعمل الصالحات، فله نعيم عظيم في جنات تجري من تحتها الأنهار فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. نسأل الله العظيم بمنه وفضله أن يجنبنا المعاصي يوفقنا لطاعته، ويرزقنا رضاه، ويجعلنا من عباده المؤمنين الذين وعدهم بجنات عدن ذلك هو الفوز العظيم، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.[2]

١- سورة آل عمران.(آية: ١٥).

٢- سورة التوبة (آية: ٧٢).

المطلب الخامس

بيان ثمرة التواصي بالحق والصبر على المجتمع الإسلامي

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [1]، لهذا يجب على الداعية الذي علم أن الله هو الحق، وان ما يدعون من دونه هو الباطل، فدينه سبحانه حق، وعبادته حق، ونصره لأوليائه على أعداءه حق، ووعده حق، فالإسلام حق، والقران المنزل على نبيه محمد ﷺ يدعو إلى الحق، فعليه أن يتبع الحق في جميع أحواله، ويدعو الناس إليه، ويبين لهم أن أول هذه الحقوق هي عبادة الله وحده لا شريك له، ثم ينصحهم بأداء الحقوق التي لغيرهم وهي حقوق العباد، وعدم الاعتداء عليهم، فلابد من حفظ حقوق الناس وحرماتهم قال ﷺ:" كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه".

فمقاصد الشريعة الإسلامية هي حفظ الضروريات الخمس حفظ الدم، والمال، والعرض، والعقل، والدين. فإقامة الحق في المجتمع والقضاء على الباطل والظلم والطغيان يؤدي إلى سلامة أفراد المجتمع، ونشر العدل بينهم، وهذا يؤدي إلى الأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وهذه حقوق أمر بها الإسلام، ورغب فيها فحق المسلم على أخيه المحافظة عليه، وعدم الاعتداء عليه، وإن رآه على منكر نصحه وأرشده إلى طريق الحق والصواب، فالدين النصيحة. قال ﷺ:" الدين النصيحة ثلاثاً، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله عز وجل، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم" [2]. رواه مسلم

فالنصيحة لدين الله، ولكتابه، ولرسوله هي في إتباعه، ودعوة الناس إليه بالمعروف، والصبر في سبيل ذلك، وتحمل الأذى بالقول أو بالفعل. فنصح الناس أي: إرشادهم إلى إتباع أوامر الله، واجتناب نواهيه، وبيان أن الخير والفلاح والصلاح في إتباعها، والضلال، والخسارة في البعد عنها، وذلك بتعليم الجاهل، ووعظ الغافل، وترغيبهم في تلاوة القرآن وحفظه وتدبره، فهو أساس سعادتهم، وهو باب للتربية الإنسانية في العقائد والعبادات والمعاملات والقصص، فعلى المربي والمعلم والواعظ تعلم ما فيه من خير، وهدى، وصلاح، ودعوة الناس إليه. فإن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم أي: أحسن في جميع نواحي الحياة.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

١- سورة النساء (آية: ١٧٠).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/٥٣

فإتباع هدي القرآن وشرعه، والتخلق بآدابه، والعمل بأحكامه يؤدي إلى فلاحه ونجاحه، ويحفظ أيضا جوارحه من المعاصي؛ لأنه يسأل عنها يوم القيامة قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.[1]

فليتق الله المسلم في هذه الجوارح، وليحسن استخدامها في طاعة الله، وليحذر من استخدامها في المعاصي، فإن أعضاء الإنسان السبعة وهي: العين- والأذن- واللسان- والبطن- والفرج- واليد- والرجل، هذه الأعضاء السبعة هي السبب في اكتساب الإنسان الحسنات أو السيئات، فليحرص المسلم على اكتساب الحسنات، وذلك بالإكثار من الأعمال الصالحة مثل بر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، والضعفاء، والمساكين، وذلك ببذل المساعدة لهم بالمال، والبدن، والجاه؛ لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وينصر المظلوم، ويساعد في رد الحقوق لأهلها.

فالخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، كما يدعو الناس إلى مساعدة الآخرين، وعدم ظلمهم وذلك بإعطاء كل صاحب حق حقه، كما ينهاهم عن الفحشاء والمنكر مثل: الشرك بالله، والقتل بغير حق، والزنا، والسرقة، والكبر، واحتقار الناس، أو الاعتداء عليهم بأي نوع كان، فلابد من الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل والصبر على تبليغ الدعوة، وتحمل الأذى في سبيلها، فإن الله بشر الصابرين بجنات عدن قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.[2]

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وارنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا هداة مهتدين. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ... والحمد لله رب العالمين...سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

١- سورة الإسراء (آية: ٣٦).

٢- سورة الرعد (آية: ٢١ - ٢٤).

الخـــاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله إمام المصلحين وعلى آله و أصحابه أجمعين .

أما بعد :

فقد توصلت من خلال بحثي هذا إلى نتائج كثيرة سأقتصر على ذكر أهمها فيما يلي:

١- بيان أهمية سورة العصر؛ لأن الله افتتحها بالقسم بالعصر قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ ، فبين سبحانه أن كل الناس في خسارة إلا من استثناهم الله من الخسارة بقوله:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾

٢- بيان أن الله أقسم بالعصر ليوضح لنا أهمية الوقت في حياة الإنسان؛ لأن الوقت هو الحياة، وهو الظرف الذي تتم فيه أعمال الإنسان، ومعاملاته لغيره، فمن أحسن استخدامه وصرفه في طاعة الله ومرضاته، وفيما يعود عليه بالخير والنفع في الدنيا والآخرة، فقد سلم وغنم، وفاز بالنعيم المقيم، والخير العظيم، ومن ضيعه ولم يحسن الانتفاع به بل اتبع هواه وشيطانه، ونفسه الأمارة بالسوء فقد خسر عمره ونفسه وماله وأهله، بل خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

٣- بيان تقسيم الله سبحانه للناس في سورة العصر إلى طائفتين الطائفة الأولى هي الطائفة الخاسرة، وهم حزب الشيطان وأتباعه؛ لأنهم خالفوا أوامر الله ولم يسمعوا تحذيراته لهم من إتباع خطوات الشيطان؛ لأنه عدو مضل مبين قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ .

فهو يأمر بالفحشاء والمنكر، وهو سبب إخراج أبويهم من الجنة، ونزوله للأرض، ولكنهم عصوا الله وكفروا به، وارتكبوا المعاصي والمحرمات، وساروا على خطى الشيطان، فكان عاقبتهم الخسارة؛ لأن الشيطان استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله، فكانوا من الخاسرين قال الله تعالى:﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ .

٤- بيان أن ابتعاد الإنسان عن شرع الله وما جاء فيه يوقعه في الكفر به، والظلم لنفسه ولغيره، فيرتكب المعاصي، ويظلم العباد بالتعدي عليهم في أموالهم و أعراضهم ودمائهم، لهذا ظهر لنا أن أكثر

الآيات التي ورد فيها لفظ الإنسان جاءت في سياق الذم له من حيث وصفه بالكفر بالله والظلم قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، وكل هذا نتيجة الجهل بالله وبدينه وعاقبة أمره قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع والعمل الصالح، وإنما الله سبحانه وتعالى هو الذي يكمله وينعم عليه بالعلم والإيمان .

٥- بيان صفات الطائفة الثانية وهي الرابحة، فقد شهد سبحانه بفوزهم و فلاحهم، وبين لنا صفاتهم، حيث استثناهم الله من الخسران؛ لأنهم جمعوا بين أربع صفات:

أ- الإيمان بالله .

ب- وعملوا الصالحات بأنواعها من عبادة الله وحده لا شريك له، والإحسان لخلق الله، وإعطائهم حقوقهم كاملة مثل الآباء والأولاد والأزواج والأقرباء والجيران، وكل من لهم صلة بهم، فأعطوا جميع هؤلاء حقوقهم.

ج- ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وتواصوا بالحق بيان أن المراد بالحق في السورة هو الإيمان بالله، والعمل الصالح، وترك المعاصي، وكلمة الحق في القرآن الكريم لها معاني كثيرة سأذكر أهمها:

١- أن المراد بالحق هو الله تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

٢- المراد بالحق القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ .

٣- المراد بالحق الإسلام قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

د- بيان أن المراد بقوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ .

١- أي الصبر على أقدار الله قال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ .

٢- الصبر على شرع الله، وهذا يشمل الصبر على الطاعة قال تعال ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾.

٣- الصبر عن المعصية، فعلى المسلم أن يحذر الشهوات والشبهات، ولا يتبع نفسه هواها فيغفل عن ذكر الله ويشقى قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾.

فهؤلاء هم المؤمنون بالله حقاً وصدقاً، فكانوا من حزب الله المفلحين قال تعالى:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، و إنما استحقوا الفوز والفلاح؛ لأنهم حرصوا على الأعمال الصالحة، وطاعة الله ورسوله، ودعوا الناس لطاعة الله وعبادته وحده لا شريك له، وصبروا على ما يواجههم في سبيل ذلك ابتغاء مرضاته، فاستحقوا رضى الله عنهم، وفوزهم قال تعالى :﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ .

فهرس المراجع

- القرآن الكريم:

- جامع البيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، دار المعرفة- بيروت، لبنان، ط٣.
- تفسير القرآن العظيم. للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، طبع بدار إحياء المكتبة العربية.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
- زاد المسير في علم التفسير. للجوزي، ط١- المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- الجامع لحكام القرآن. للقرطبي، ط٣- مطبعة دار الكتب المصرية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧.
- لباب التأويل في معاني التنزيل. علاء الدين المعروف الخازن، بهامشه تفسير النبوي المسحي بمعالم التنزيل، دار الفكر- بيروت، لبنان.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية. لمحمد على الشوكاني، دار الفكر- بيروت.
- معاني القرآن للفراء.
- التفسير لابن القيم ٦٩١-٧٥١هـ، حققه محمد حامد الفقي، لجنة التراث العربي- بيروت، لبنان.
- تفسير العلامة أبي سعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر- بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تدقيق المجلس العلمي بفاس.
- أيسر التفاسير. لأبي بكر الجزائري.
- تفسير روح المعاني. للألوسي.
- تفسير التحرير والتنوير. لسماحة الشيخ محمد الطاهر.
- في ظلال القرآن. لسيد قطب.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. للشنقيطي.
- تفسير المراغي.
- تفسير الضوء المنير. للشيخ الصالحي.
- خلق المسلم. للشيخ الغزالي.
- التفسير القرآني للقرآن العظيم. للشيخ عبد الكريم الخطيب.
- التبيان في أقسام القرآن. لابن القيم.
- بدائع التفسير. لابن القيم.
- تفسير الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، جزء عم.
- مسند الإمام. أحمد بن حنبل.
- تفسير فخر الدين الرازي.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. لابن القيم الجوزية.
- كتاب الفوائد. لابن القيم الجوزية.
- معارج التفكير. للميداني.
- كتاب الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية من تأليف الشيخ عبد العزيز السلمان.
- كتاب سؤال وجواب في أهم المهمات. للسعدي.
- تفسير البغوي.
- أخلاق المسلم. محمد سعيد مبيض.
- التعريفات للجرجاني.
- تفسير كلمة الحق في القرآن الكريم. للشيخ محمد الراوي.

كتب علوم القرآن.

- أسباب نزول القرآن. للواحدي، المتوفى سنة ٤٨٧هـ.
- المفردات في غرائب القرآن. للراغب الأصفهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ.
- البرهان في علوم القرآن. للزركشي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ.
- الإتقان في علوم القرآن. للسيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ.
- مباحث في علوم القرآن. دكتور مناع القطان.

- نزهة الأعين النواضر في علم الوجوه والنظائر. أبي الفرج.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين البقاعي، ط١- بمطبعة مجلس دائرة المعارف.

كتب الحديث:

- صحيح البخاري، صحيح مسلم بشرح النووي.
- دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين، للعلامة محمد الشافعي.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، رجب الحنبلي، دار الفكر- بيروت.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد بت تيمية.
- العقيدة الواسطية لابن تيمية.
- تاج العروس للزبيدي.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ.